

رقمنة التراث أو الأدب التقليدي في بيئة رقمية

محمد أسليم

تؤثر الرقمية اليوم على المجال الأدبي تأثيراً كبيراً أفضى إلى تشكّل خريطة أدبية تتألف من ثلاث جهات: فهناك «أدب جديد» لا يغادر الحاسوب كتابة وقراءة، يُصطلح عليه «الأدب الرقمي»، وهناك ما أصبح يُطلق عليه اسم «الأدب التقليدي»، وهو الكتابات الأدبية التي تستغل الوسيط الرقمي، وتعرف انتشاراً واسعاً في العالم الافتراضي، وأخيراً هناك الأدب التقليدي الذي لا زال يعتمد الوسيط الورقي حصراً إنتاجاً ونشراً وقراءة، وكأن لا شيء يحدث اليوم.

يُقصد بالأدب التقليدي الكتابات الإبداعية التي تندرج في نماذج أدبية عليا اكتملت تشكلها في حقبة ما قبل الثورة الرقمية، وتعتمد الورقَ كتابةً وطباعةً ونشراً وتداولاً وقراءة، كالشعر، والقصة، والرواية، والنصوص المسرحية، والمقالات، والكتابات النقدية، وما إلى ذلك. أما البيئة الرقمية، فالمرادُ بها هنا الفضاء الافتراضي المتمثلاً في شبكة الأنترنت التي تمَّ إطلاقها في تسعينيات القرن الماضي، وهي مجموع حواسيب العالم التي تستعمل لغة برمجية واحدة على نحو يجعل جميع أجهزة الكمبيوتر متصلة ببعضها البعض، في سياق لا وجود فيه لمركز ولا محيط، ويمكن لأي فرد أن يصل إلى هذه الشبكة من أي مكان في العالم، بواسطة جهاز كمبيوتر أو هاتف محمول أو لوح إلكتروني متصل بها، ليستفيد من سائر الخدمات المتاحة، من تواصل، وبيع وشراء، ومطالعة، ونشر وقراءة، وما إلى ذلك.

بدأت هجرة الأدب من الحامل الورقي إلى الحامل الرقمي في مستهل سبعينيات القرن الماضي، حيثُ أُطلق أحد طلبة جامعة Illinois الأمريكية، اسمه ميكائيل هارث (1949-2011) Michael Hart، في عام 1971، مشروعاً أطلق عليه اسم جتنبرغ، رُمى من خلاله إلى نشر الأعمال الأدبية التي انتقلت ملكيتها إلى المجال العمومي مجاناً في وسيط إلكتروني¹، وعندما ستطلق شبكة الأنترنت في مستهل تسعينيات القرن الماضي، سيجد موقع جتنبرغ نفسه أول موقع من نوعه.

ويظهر الأقراص المرنة والمدمجة، ثم شبكة الأنترنت صار حضورُ الأدب التقليدي في العالم الافتراضي من الكثرة بما لا مجال فيه للمقارنة بينه وبين ما يسمى بـ «الأدب الرقمي» بمعناه الاصطلاحي، مما جعل البعض يتحدث عن هجرة للكتاب من الرفوف الواقعية إلى الرفوف الافتراضية².

ويتم نقل النص، بصرف النظر عن أن يكون بضع صفحات أو كتاباً أو حتى مصنفًا يتألف من عدة مجلدات، من الوسيط المادي إلى الحامل الرقمي بما يُسمى بـ «الرقمنة»، ثم التخزين والنشر بالأجهزة الرقمية.

1. رقمنة التراث

يُقصد بالرقمنة: «تحويل معلومات حامل (نص، صورة، شريط سمعي أو فيديو) أو إشارة كهربائية إلى بيانات رقمية تستطيع أجهزة معلوماتية أو إلكترونية رقمية معالجتها. أما البيانات الرقمية فتعرّفُ بأنها متوالية من الحروف

¹ انظر:

Marie Lebert, *Une courte histoire de l'ebook*, NER, Université de Toronto, 2009, p3:

<http://www.etudes-francaises.net/dossiers/ebookFR.pdf>

² Jean Clément, *L'adieu à Gutenberg*:

<http://manuscritdepot.com/edition/documents-pdf/adiueugutenberg-jclement.pdf>

والرموز Caractères والأرقام التي تُمثل معلومات، ويشأُر إلى العملية نفسها باصطلاح Digitalisation الذي يعني في الأنجليزية عدد أو رقم»³.

ويقصدُ برقمنة التراث نقل المؤلفات التي انتقلت ملكيتها إلى المجال العمومي من رفوف المكتبات الواقعية إلى الرفوف الافتراضية لما تتيحه الأقراص المدمجة وأقراص التخزين المحمولة وأجهزة الكمبيوتر وشبكة الأنترنت من سعة تخزينية هائلة وسهولة في التداول وإمكانية لاستنساخ العمل إلى ما لا نهاية، فضلا عن إنقاذ الكتب المعرضة للإتلاف. ففي أمريكا، على سبيل المثال، تُرقمُن كل المنشورات التي صدرت ابتداء من القرن 19 لاجتناب تعرضها للإتلاف جزاء إحدى المواد الكيميائية التي تدخل في تركيب مداد الطباعة⁴. ويتم هذا النقل بأكثر من صيغة، سنقتصر منها على ثلاثة، هي صيغة النص وصيغة الصورة⁵، ثم صيغة الصوت.

1.1. الرقمنة بصيغة النص:

وتتم بالأشكال التالية:

- إعادة كتابة النص بأحد محررات النصوص، كبرنامج الورد المرفق مع برامج مثل الأوفيس أو الأوفيس المفتوح المصدر open office، ويأخذ النصُ هنا عموما شكل ملف word أو rtf، يمكن فتحه ببرنامج تحريره الأصلي، كما يُمكن التدخل فيه بإعادة تصميم صفحاته وإعادة تنسيق فقراته وتغيير حجم حروفه ولونها وإضافة فقرات وحذف أخرى، وما إلى ذلك. وتقدم الكثير من المواقع مواردها الرقمية بهذه الصيغة.

- تحويل النص من الصيغة السابقة إلى لغة توصيف النص التشعبي ليأخذ امتداد html، بغاية عرضه للتصفح مباشرة في شبكة الأنترنت. ويتم النقلُ إلى الصيغة المذكورة بأحد برامج تحرير النصوص، كتلك التي ذكرنا أمثلة منها أعلاه، أو ببرامج أخرى متخصصة، مثل برنامج الفرنج بيج Front Page الذي يدخل ضمن مكونات حزمة برامج الأوفيس. ومع أنه يمكن إعادة نقل النص من هذه الصيغة (html) إلى أحد برامج التحرير، باستعمال أمرٍ النسخ واللصق، وبالتالي يُمكن إدخال كافة أنواع التعديلات عليه، فتخزين النصوص بلغة توصيف النص التشعبي يتيح تخزين عدد كبير منها في قواعد بيانات، مما يتيح استعادتها وعرضها وطباعتها بأشكال عديدة، فيأخذ هذا العرضُ شكل مقطع أو مجموعة مقاطع محدّدة أو صفحة واحدة أو عدد من الصفحات، يمكن الوصول إليها من خلال محرّك بحث من داخل الموقع أو أحد محرركات البحث من خارج الموقع، كغوغل أو ياهو أو بينج أو ألتافيسستا، وغيرها.

ومن أمثلة المحركات البحث داخل قواعد بيانات ضخمة محرك بحث الموسوعة الشاملة الذي يُعتبر الأكبر من نوعه، حيث يتيح الوصول إلى مفردات أو جمل من قاعدة الموسوعة الشاملة التي تُخزِنُ النصوص الكاملة لآلاف المصنفات الإسلامية في الفقه وأصوله والحديث واللغة العربية والتاريخ، وغيرها، وعنوانه: www.islamport.com.

- صناعة كتاب إلكتروني ببرامج متخصصة، مثل FliBook، و e-book worksho، و Natata e-Book Compiler، وغيرها من البرامج العديدة المشابهة، فيتم نقل النص المرقون من صيغة html إلى ملف تنفيذي واحد، يُعرض للقراءة

³ <http://fr.wikipedia.org/wiki/Numérisation>

⁴ Jean Clément, *L'avènement du livre électronique: simple transition? :*
<http://hypermedia.univ-paris8.fr/jean/articles/livre.htm>

⁵ Jean Clément, *L'adieu à gutenber:*
<http://manuscritdepot.com/edition/documents-pdf/adieugutenberg-jclement.pdf>

بعد تنفيذه، دون أن يمكن التدخل في النص أو تعديل محتواه. ومن هذه البرامج ما يُتيح إدراج الصوت، بل وحتى مقاطع فيديو في النص.

2.1. الرقمنة بصيغة الصورة:

ويتم هنا استنساخ الكتاب المنشور بتقنية المسح الضوئي، صفحة صفحة، فتتحول مجموع صفحات الكتاب إلى صور، وبعد ذلك يتم نقل هذه الصور إلى صيغة PDF، بأحد برامج التحويل مثل ImagesToPDF أو Images to PDF Converter أو Creator Images to PDF، أو غيره من البرامج الكثيرة المتخصصة، كما يُمكن القيام بهذا التحويل في شبكة الأنترنت مباشرة من خلال أحد المواقع العديدة التي تقدم هذه الخدمة مجاناً. وبعد ذلك يتم إعادة جمع صفحات الكتاب في الصيغة الجديدة، وهي PDF في ملف واحد بأحد البرامج المتخصصة، مثل Merge PDF أو Pdf Split & Merge أو غيرهما من البرامج الكثيرة المتوفرة، كما يُمكن القيام بهذا التحويل في أحد المواقع العديدة التي توفر هذه الخدمة مجاناً في الشبكة. ويُفرضي هذه الصيغة للرقمنة إلى الحصول على نسخة رقمية طبق الأصل من نظيرتها الورقية، بحيث يُمكن إعادة سحب الكتاب، في مطبعة ورقية، بشكل مطابق لإصداره الأول حتى ولو عاد صدور الكتاب لأول مرة إلى عشرات السنين.

وتقتضي قراءة الكتب المرقمنة بهذه الصيغة استعمال برامج متخصصة، ومنها على سبيل المثال:

- Acrobat Reader
- Adobe Reader
- Abbyy Fineeader
- Pdf-Xchange Viewer،

وما شابهها، حيث يُعرض الكتاب على شاشة الحاسوب أو اللوح الرقمي أو غيره من القارئات (liseuses) الرقمية دون إمكانية إدخال تعديلات على النص، فلا يمكن تغيير ترتيب فقراته أو حجم حروفه وألوانها، وما إلى ذلك، ما لم يُحوّل إلى صيغة النص مُجدداً بأحد البرامج المختصة. والتدخلات الوحيدة التي تسمحُ بعضُ البرامج بالقيام بها هي ترك أثر للقراءة على حواشي النص أو تحت سطوره، كتدوين ملاحظات أو وضع خطوط تحت سطور أو إحاطة فقرات بمربعات ذات ألوان مختلفة، وما إلى ذلك. ويمكن تعديل هذه التدخلات التي تبقى خارجة عن النص أو التراجع عنها ومحوها في أية لحظة.

بالإضافة إلى ما سبق، تتضمن بعض البرامج، مثل Adobe Reader خيار الاستماع إلى النص، فيتولى الجهازُ قراءة النص صوتياً، ليختار القارئ بعد ذلك الاكتفاء بالاستماع أو المزاجية بين الاستماع إلى قراءة المتن ومتابعة عرضه على الشاشة. كما توجد مواقع متخصصة في القراءة السمعية للنصوص، بالعديد من اللغات، حيث يكفي رفع النص أو الملف المراد الاستماع إليه إلى الموقع، فتقوم الآلة بمعالجته، ثم تنطلق القراءة بصوت ذكوري أو أنثوي حسب اختيار المستخدم. ليس هذا وحسب، بل ويُمكن أيضاً تنزيل نسخة من الملف بإحدى الصيغتين الصوتيتين: MP3 أو Wav. من أمثلة هذه المواقع:

<http://acapela-box.com/AcaBox/index.php>

2. التراث الخطي في «الرفوف الافتراضية»:

تقوم بنقل الكتب بالصيغتين السابقتين، من الرفوف الواقعية إلى الرفوف الافتراضية، أطراف ثلاثة هي: مؤسسات، ومتطوعون قد يكونوا أفرادا أو حشدا من الأفراد مجهولي الهوية يحولون كتبنا منشورة ورقيا إلى صيغة رقمية ويرفعونها إلى مواقع رفع الملفات، أو يقومون بمجرد البحث عن الكتب المتوفرة في الشبكة، فيبوبونها في أقسام، مع تقديم نص واصف أحيانا لمحتوى الكتاب، وإدراج روابط تزيل تلك المؤلفات من أماكن تخزينها في الشبكة.

تتم هذه العملية اليوم في سائر اللغات وفي جميع قطاعات المعرفة، مما أفضى إلى توفر موارد وثائقية ضخمة في شبكة الأنترنت يستحيل عمليا الإحاطة بها، ما يجعل من المستحيل القيام بأي جرد شامل للوثائق المنشورة أو حتى بمجرد إنجاز قائمة تمثيلية، من جهة، ويثبت من جهة أخرى أنه بمجيء الفضاء السيبراني cyberspace، أفلتت المعرفة من يد الإنسان إلى الأبد⁶. ومع ذلك، يمكن الإشارة إلى بعض المشاريع لمجرد أخذ فكرة تقريبية عما يجري في هذا المجال⁷ والخروج ببعض الخلاصات حول التحول الذي يعرفه الكتاب والنص جراء انتقالهما من الحوامل المادية إلى الحامل الرقمي. وسُراعي في هذا العرض خمسة اعتبارات، هي: مجانية هذه الموارد، وطرق الوصول إليها، وضخامة الموارد المرقمنة، وأماكن تخزينها، ثم طرق رواج هذه الموارد وانتشارها في الشبكة.

1.2. أرشيفات، محركات البحث وقواعد البيانات:

1.2.1. أرشيفات:

- أرشيف الأنترنت www.archive.org: سجل المحفوظات (أرشيف الأنترنت)، وهو موقع أنشأته منظمة غير ربحية تمّ إنشاؤها سنة 1996، بغاية حفظ نسخة من المواد المنشورة في الشبكة، من كتب وصور وبرمجيات، وملفات متعددة الوسائط، وما إلى ذلك حرصا على ضمان نوع من الاستقرار. وضعت فيه مجموع كتب خزانة الكونجرس الأمريكية المرقمنة، المؤلفة بين 1720 و1920، لتفادي تلفها بسبب أيدي القراءة. ويقول بروستر كاهل، الشريك المؤسس لسجل محفوظات الأنترنت، «إن مجموعات محفوظات المكتبة ذات قيمة وعمق لا حدود لهما. والآن يستطيع كل من يملك وُصُولًا (كذا!) إلى الأنترنت أن ينزل ويطلع ويجلّد نسخا من كل هذه الكتب»⁸. وإضافة إلى ما يضمه سجل المحفوظات (أرشيف الأنترنت) من مجموعات عديدة، بمختلف اللغات، فهو يضم مجموعات من محفوظات "اتحاد المضمون العام"⁹ وهو تجمّع لمنظمات من مختلف أنحاء العالم يهدف إلى إيجاد سجل (أرشيف) للنصوص والمواد الإعلامية بالوسائل المختلفة المجانية الرقمية بلغات عدة¹⁰. يقع خادم الأرشيف في سان فرانسيسكو، وتوجد نسخة أخرى منه في مكتبة الإسكندرية بمصر، ويضع مجموعاته مجانا رهن إشارة الباحثين والمؤرخين والجامعيين¹¹.

⁶ Pierre Lévy, *Essais sur la Cyberculture: L'Univers sans totalité. Rapport au conseil de l'Europe*, version provisoire:

<http://hypermedia.univ-paris8.fr/pierre/cyberculture/cyberculture.html>

⁷ يُنظر أيضا هذه القائمة:

<http://www.mabibliotheque.ca/monteregie/fr/livres-et-ressources-numeriques/livres-numeriques-en-liberte/index.aspx>

⁸ مكتبة الكونغرس تنشر آلاف الكتب والوثائق التاريخية على الأنترنت:

<http://iipdigital.usembassy.gov/st/arabic/article/2009/12/20091228170736ssissirdile0.7021906.html#ixzz3Xwqfo yZR>

⁹ <http://www.opencontentalliance.org>

¹⁰ مكتبة الكونغرس تنشر آلاف الكتب والوثائق التاريخية على الأنترنت:

<http://iipdigital.usembassy.gov/st/arabic/article/2009/12/20091228170736ssissirdile0.7021906.html#ixzz3Xwqfo yZR>

¹¹ http://fr.wikipedia.org/wiki/Internet_Archive

- الأرشيفات المفتوحة¹²: يحتوي على عدد ضخم من الموارد المتعددة التخصصات، باللغتين الإنجليزية والفرنسية، ويوضِّح الموقع في صفحته الرئيسية أنه موجّه لنشر المقالات العلمية ذات المستوى العالي، سواء أُسبِق نشرها أم لا، كما لنشر الرسائل الجامعية الواردة من مؤسسات التعليم والبحث الفرنسية أو الأجنبية، ومن المختبرات العمومية أو الخاصة. ويضيف أنه لا يتم نشر الموارد المقترحة إلا بعد أن تخضع لعملية فحص من لدن إدارة الموقع، ولا يحق لصاحب المادة التي تحظى بالموافقة على النشر في الموقع أن يتراجع عن النشر أو أن يُطالبَ بسحبها. وتُرسل نسخة من الأعمال المنشورة إلى المركز الوطني للمعلوماتي للتعليم العالي بفرنسا، بغاية حفظها على المدى الطويل. وللإشارة، فهناك رسائل جامعية وجدت طريقها إلى دور النشر الورقية، فظلت محفوظة بنسختها الأصلية في الموقع.

2.2.2. محركات البحث:

- محرك البحث <http://ar.pdfsb.net>: ويتيح الوصول إلى أكثر من 255 مليون كتاب للتحميل المجاني، ود 35 لغة، ضمنها اللغة العربية، حيث يمكن للمتصفح أن يبحث عن عنوان الكتاب الإلكتروني الذي يريده، ويحمل نسخة منه مجانية بصيغة PDF أو يقرأه في الموقع مباشرة؛

محرك البحث <http://ebookbrowse.net>: يتيح الوصول إلى 30 مليون كتاب، ويُطعّمُ يوميا بحوالي 50000 كتاب، منها ما هو مجاني ومنها ما يؤدي عنه، وذلك بالصيغ: pdf، doc، docx، rtf، xls، ppt، pptx، وpps.

- كتاب لنك <http://www.ketablink.com>: يتيح الوصول إلى الكتب المتوفرة في شبكة الأنترنت اعتمادا على بحث غوغل، حيث تُعرض نتائج البحث في صفحات المحرك (الأب) غوغل التي تُعرضُ داخل موقع محرد كتال لنك، ويترتب على اعتماد هذا الموقع على غوغل إمكانية استخدام كافة اللغات في البحث. وبالإضافة إلى سرعة عرض النتيجة، يتميز هذا المحرك بعرض قائمة لأخر الكتب المبحوث عنها، وأخرى للكتب الأكثر بحثا.

- محرك الموسوعة الشاملة www.islamport.com: هو أضخم محرك بحث في الكتب الإسلامية العربية، ينقسم إلى ثلاثة أبواب رئيسية، هي: العقائد وعلوم القرآن والحديث، وعلوم الفقه الإسلامي، ثم العلوم الأخرى. وتتفرع هذه الأبواب إلى أقسام فرعية. فالقسم الأخير، مثلا، يشتمل على أصناف: علوم اللغة العربية، وكتب الأدب، كتب التاريخ، وكتب البلدان، وكتب الأنساب، وكتب ابن تيمية، وكتب ابن القيم، وكتب ابن أبي الدنيا، وفهارس الكتب، وكتب عامة، ثم معاجم اللغات. ويتم البحث باختيار أحد هذه الأقسام، وإدراج الكلمة أو الجملة المراد البحث عنها. كما يشتمل الموقع على صفحة خزانة الكتب، ومنها يُمكن تصفح مجموع الكتب المتوفرة في الموقع، بصيغة النص، كما يمكن تنزيل نسخة مجانية من كل كتاب بصيغة PDF.

- حمل كتابك¹³: أول محرك بحث للكتب بفرنسا، ويتيح الوصول إلى 5 مليون كتاب، كما يجمّع 75 موقعا مختصا في الكتب، يعرضها في موقعه، بخيارين للبحث: خيار الوصول إلى كتب مجانية، وآخر للكتب المؤدى عنها¹⁴.

2.2.3. قواعد البيانات

- قاعدة بيانات جامعة لافال¹⁵: تشتمل على أزيد من مليون أطروحة جامعية بنصها الكامل بصيغة PDF، تضاف إليها 70 ألف نسخة رقمية من البحوث والرسائل الجامعية بنصوصها الكاملة¹⁶:

¹² <http://hal.archives-ouvertes.fr>

¹³ <http://www.telechargeonebook.fr/>

¹⁴ يمكن الاطلاع على مزيد من عناوين محركات البحث عن الكتب بصيغة pdf، بباب محركات الكتب pdf، في مدونة محركات البحث: <http://specializedsearchengines.blogspot.com/>

¹⁵ http://www.bibl.ulaval.ca/bases_de_donnees_listes

¹⁶ Université Laval, La bibliothèque espace savant:

<http://www.bibl.ulaval.ca/chercher-autres-sujets/memoires-et-theses>

- قاعدة بيانات فرانتكست www.frantext.fr: تتضمن 4515 نصا في العلوم والفنون والآداب والتقنيات، من القرن X إلى القرن XXI، وتشكل هذه القاعدة متنا يتألف في معظمه من أعمال أدبية والباقي مؤلفات تقنية، وتمّ تصميمها «للسماح بإجراء عمليات بحث بالكلمات، أو المفردات ذات الصلة، أو التعبيرات الواردة في متن معيّن، دون أن يُسمح بتحميل النصوص أو قراءتها قراءة كاملة. أما النسخ الرقمية للنصوص التي انتقلت ملكيتها إلى المجال العمومي فيمكن تحميلها من المركز الوطني للموارد النصية والمعجمية»، لكن دخول القاعدة غير متاح للعموم¹⁷؛

- رشف www.rashf.com: قاعدة بيانات عربية تشتمل على 38000 كتاب باللغة العربية للتزليل مجاناً. يمكن البحث عن الكتاب حسب العنوان، أو المؤلف أو الناشر، كما يمكن استعراض المكتبات بشكل عشوائي ودون تحديد أي عنوان أو كاتب.

3. مجتمعات وموسوعات:

- جامع المخطوطات الإسلامية <http://wqf.me>: يشتمل على عدد ضخم من المخطوطات الإسلامية، جمّعها صاحبها من العديد من مواقع المكتبات والمكتبات الجامعية في الوطن العربي وخارجه، ثم رفعها إلى الأرشيف على شكل ملفات منفردة أو أسطوانات تشتمل كل واحدة على عدد كبير من المخطوطات، ويتراوح حجم هذه الاسطوانات بين 700 ميغا وما يفوق 1 جيغا بايت. بعض هذه المخطوطات مرفوعٌ على شكل صور والآخر بصيغة PDF. وقد وضع صاحب الموقع مدخلين للوصول إلى موارده: الأول يُتيح تنزيل الأسطوانات كاملة، مترتبة من 014 إلى 443، والثاني يُوصل إلى المخطوطات واحداً واحداً، تبعاً لمكان وجوده (لجامعة الأمريكية، المجلس الوطني، برنستون، طوكيو، ليبزك، الخ). يُغذّي الموقع يومياً بمواد جديدة، ويعتمد على التبرعات؛

- جامع الكتب المصورة www.kt-b.com: ويشتمل على 60000 كتاب من الكتب والموسوعات والقواميس، في شتى المجالات، بصيغتي PDF، وهو العدد الأغلب، ثم بصيغة word. ويُجمّع أصحاب الموقع هذه الكتب المتوفرة في شبكة الأنترنت، كما من الموسوعة الشاملة، ويوبونها في 44 باباً، ثم يضعونها رهن إشارة المستخدمين بصيغتين: الأولى عبارة أسطوانات يتجاوز حجم الواحدة منها 700 ميغا بايت، يتم تحميلها من أرشيف الأنترنت، والثانية توفير رابط منفرد لكل كتاب. ويعزم أصحاب الموقع توفير مواردهم النصية بصيغة ثالثة هي تمكن المستخدمين من تصفح الكتب مباشرة في الموقع قبل تنزيله. ويبدو أن الموقع يعتمد على التبرعات.

- الموسوعة الشاملة <http://shamela.ws>: تضم 16000 كتاباً بصيغة النص، يمكن تحميلها مجاناً من الشبكة وتثبيتها في الجهاز، فتأخذ شكل واجهة مكتبة حقيقية، بعد تنفيذ البرنامج، فتفتح في الشاشة نافذة تمنح خيارات عديدة للبحث وقراءة الكتب التي تُعرض بصيغة نصوص، يمكن نسخها ولصقها في أحد برامج محررات النصوص، كما يُمكن استشارة محتويات المكتبة انطلاقاً من محرك بحث الموسوعة الشاملة www.islampost.com. وتوجد تنوعات أخرى من هذه الموسوعة، مثل الموسوعة المكية والموسوعة الماسية المذكورتين أعلاه. تشتمل الموسوعة المكية على 11000 كتاباً، ورابط تنزيلها:

<http://www.mediafire.com/download/czmyzuynin1/makia.exe>

فيما تتألف الموسوعة الماسية من 17300 كتاباً، ورابط تنزيلها:

http://www.bibl.ulaval.ca/fichiers_site/portails/ethnologie/formation-proquest.pdf

¹⁷ <http://www.frantext.fr>

http://www.archive.org/download/Shamela_13700/Shamela13700.rar

- الموسوعة العالمية للشعر العربي www.adab.com: وهي أضخم موقع للشعر العربي (القديم والحديث) الفصيح والشعر العامي، والشعر العالمي وسير أدياء عرب، ونصوص ترجمات أعمال عربية إلى الإنجليزية، إضافة إلى قصائد سمعية. وقد بلغت منشورات الموقع في الشعر الفصيح وحده حتى الآن (20 أبريل 2015) 1305277 بيتاً في 58422 قصيدة لـ 648 شاعراً وشاعرة؛

4.2. مكتبات جامعية وغيرها

- المكتبة الرقمية العالمية www.wdl.org: تمّ إنشاؤها بدعم من منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة بالتعاون مع مكتبة الكونغرس الأمريكي، لتضطلع بمهمة تعزيز التفاهم الدولي والتعليم وتبادل الثقافات عبر الإنترنت، وتعرض موادها بسبع لغات هي: الإنجليزية، والإسبانية، والبرتغالية، والروسية، والعربية والصينية، والفرنسية:

- مكتبة غالليكا التابعة للمكتبة الوطنية الفرنسية <http://gallica.bnf.fr>: افتتحت في أكتوبر 1997، تُغني مواردها الوثائقية باستمرار، وفاق عدد الأعمال المنشورة فيها اليوم 860 000 على الخط بصيغة الصورة PDF، و 320 000 مرقم بصيغة النص. وتشتمل ذخائر من الكتب النادرة، من بينها أرشيف المغرب الذي يشتمل على مجموع الدراسات الإثنوغرافية والإثنولوجية المنجزة إبان الحقبة الاستعمارية بالمغرب من سنة 1904 إلى 1956؛

- مكتبة كلاسيكيات العلوم الاجتماعية¹⁸، تحتوي على آلاف النصوص والكتب المتخصصة في الفلسفة وعلوم الأنثروبولوجيا والاجتماع والنفوس والتحليل النفسي والاقتصاد، وما إلى ذلك، أنشأها جان ترومبلاي Jean-Marie Tremblay الأستاذ (سابقاً) بشعبة علم الاجتماع في جامعة كيبيك الكندية، منذ إطلاق شبكة الأنترنت في عام 1993. تنشر المكتبة مواردها بصيغ ثلاث: PDF، و Word، ثم rtf. ويرقيمها عدد من المتطوعين. وقد تبنت الجامعة هذا المشروع؛

- مكتبة الإسكندرية www.bib-alex.com: وتشتمل على 40000 كتاب بنسخته الكاملة في شتى فروع المعرفة (أدب وعلوم إنسانية، فلسفة، فقه، الخ.) موضوع للتصفح من الموقع مباشرة. كما يمكن تنزيل نسخة مفردة من كل كتاب بصيغة PDF أو تنزيل المكتبة كاملة من الشبكة على شكل ملف تورينت، ثم استخدام أحد برامج تشارك الملفات بين الحواسيب، مثل Utorrent أو غيره.

- مكتبة قطر الرقمية www.qdl.qa: وتضم أكثر من نصف مليون وثيقة تاريخية مرتبطة بتاريخ دولة قطر الحديث ومنطقة الخليج والعلوم العربية والإسلامية؛

- المكتبة الإسلامية الشاملة¹⁹؛

- مكتبة مؤسسة هنداوي للتعليم: <http://www.hindawi.org>؛

- مكتبة الكتب <http://download-pdf-ebooks.org>؛

- مستودع جامعة مونتريال الكندية <http://papyrus.bib.umontreal.ca>: يشتمل على عدد ضخم من الموارد النصية، ضمنها البحوث والرسائل المرقمنة في شتى التخصصات بسائر الكليات والمعاهد التابعة للجامعة، معروضة للتحميل المجاني.

¹⁸ <http://classiques.uqac.ca>

¹⁹ <http://www.ebooks4islam.com>

- موقع جامعة ليون الأنوار 2 الفرنسية <http://theses.univ-lyon2.fr>: ينشر نسخا رقمية من الرسائل الجامعية المناقشة بهذه الجامعة. انطلق هذا المشروع للرقمنة في عام 2000، وبلغ عدد ما نُشر بالموقع إلى اليوم (2015/04/25) ما مجموعه 2600 رسالة جامعية بنصها الكامل...

- موقع اتحاد الكتاب العرب www.awu.sy: ويضم النصوص الكاملة لعدد كبير من الكتب والمجلات التي يصدرها الاتحاد، مرقمنة بصيغة النص (ملفات وورد)، والصورة (PDF):

5.2. مشاريع:

- مشروع جتنبرغ www.gutenberg.org: أخذ على عاتقه رقمنة الأعمال الأدبية المنتمية إلى المجال العمومي، ووضعها مجانا على الخط، وبلغت حصيلة عمله اليوم 36 000 كتاب بالإنجليزية والبرتغالية والفرنسية. ، وقد كتب عنه صاحبه في غشت 1998 ما يلي:

«نعتبر النص الإلكتروني وسيطا جديدا لا تربطه علاقة حقيقية بالورق. والنقطة الوحيدة المشتركة بينهما هي أننا ننشر الأعمال نفسها، ولكني لا أرى كيف يستطيع الورق أن يُنافس النص الإلكتروني عندما سيعتاد الناس على هذا الأخير، وخاصة في المؤسسات التعليمية. (...) أرمي بمشروعي إلى وضع 10000 نص إلكتروني في شبكة الانترنت. وإذا ما حصلتُ على دعما هاما، فإني أودُّ أن أرفع العدد السابق إلى مليون كتاب وكذلك توسيع عدد مستخدمي موقعنا المحتملين من 1,x% إلى 10% من مجموع سكان العالم، وهو ما من شأنه أن يمثل نشر توزيع 1000 مرة مليارا من النصوص الإلكترونية بدلا من مليار فقط. (...) أضيفُ لغة واحدة كل شهر الآن، وسأواصل هذه الخطة لأطول فترة ممكنة»²⁰.

وكان صاحب الموقع قد أعرب (قبل أن يُداهمه الموت) قد أعرب عن نيته في رفع عدد كتب موقعه إلى مليار كتاب ليتجاوز بذلك مكتبة غوغل التي كانت قد رُقمت آنذاك 129864880 كتابا²¹. ويرقمُ موارد مشروع جتنبرغ متطوعون من شتى أنحاء العالم، من خلال إعادة رُقن النصوص وإرسالها إلى الموقع الذي يتولى عرضها بصيغ html وKindle وPub. فضلا عن صيغة النص. ويعتمد المشروع في تمويله على الهبات المالية المفتوحة في وجه المتبرعين من الموقع مباشرة:

- مشروع المكتبة المفتوحة www.openlibrary.org: ويهدف إلى أرشفة جميع الكتب المنشورة بشبكة الانترنت بصرف النظر عن شكل النشر ولغته، في قاعدة بيانات مفتوحة للجميع عن بعد. ويحتوي الموقع على أكثر من 27 مليون سجل كتاب موجود في الشبكة وأكثر من مليون عمل مُرقم بصيغة PDF من إصداره الأصلي الورقي؛

- مشروع أروبيانا <http://www.europeana.eu>: جمَّع منذ إنطلاقه في عام 2008 إلى اليوم أكثر من 20 مليون من الكائنات الرقمية (نصوص وصور وأشرطة سمعية، وفيديوهات) من مكتبات ومحفوظات ومتاحف من سائر أنحاء أوروبا، وتمَّ إنطلاق المشروع بدعم من المفوضية الأوروبية²².

20 نفسه ???

²¹ Le Projet Gutenberg veut rendre disponible 1 milliard d'ebooks gratuits:

<http://www.actualite.com/actualite/20816-projet-gutenberg-milliard-ebook-gratuit.htm>

²² يمكن الوقوف على مزيد من نماذج محركات البحث عن الكتب ومواقع تحميل الكتب مجانا في شبكة الانترنت، انطلاقا مما يلي:
- صفحة محركات البحث عن الكتب بصيغة PDF، بمدونة محركات البحث، وهي مدونة محركات البحث عن كافة البيانات المتوفرة في الشبكة، علاء الدين عبد الفتاح سيد، و آيه رشاد ابو السعود سعودي، وسلوى سعيد جمعه مصطفى، ومنه الله محمود:

<http://specializedsearchengines.blogspot.com/>

- صفحة مواقع محركات البحث عن الكتب والبحوث بصيغ PDF، و word، و power point، بمنشآت قصيمي نت:

2.6. مواقع رفع الملفات:

تختص العديد من مواقع شبكة الأنترنت في تقديم خدمتي تخزين سائر أنواع الملفات (برامج معلوماتية، ملفات صوتية، أشرطة فيديو، كتب، صور) وتزويجها، بالأداء أو مجاناً، منها على سبيل المثال:

- الريدشير www.rapidshare.cc: موقع سويسري أطلق سنة 2002، وخزّن 150 مليون ملف بحجم 4500 تيرابايت، وبسعة نفاذ (Bandwidth) يصل إلى 240 غيغابت/ثانية. وقد ظل يزوره يومياً 42 مليون شخص، ويصل العدد في أوقات الذروة إلى مليون زائر في وقت واحد، إلى أن أعلن في فبراير 2015، عن عزمه على التوقف نهائياً في 31 مارس 2015، وذلك عقب تعرض موقع mega upload الأمريكي للإغلاق بعد متابعات قضائية بسبب انتهاكه لحقوق الملكية الفكرية. وقد أوقف الموقع السويسري خدمته بالفعل في التاريخ المذكور، دون معرفة ما إذا كان قد أتلّف كافة حسابات المستخدمين وبياناتهم، وأطلق نسخة ثانية تجريبية.

- الفور شريد www.4shared.com: أطلق في عام 2005، ويبلغ عدد المستخدمين المسجلين فيه اليوم 5,300,234 مستخدم، يزوره يومياً 11,000,222 زائر ويخزّن 940 تيرا بايت من سائر أنواع الملفات، في أربع فئات للتخزين والتبادل والبحث، هي: الفيديو، والموسيقى، والصور، والكتب.

- ميديا فاير www.mediafire.com، موقع أمريكي يتيح رفع الملفات بدون تسجيل أو بعد التسجيل للاستفادة من خيارات أكثر، وذلك بصيغتين: واحدة مجانية، تمنح مساحة تخزين محدودة وأخرى بأداء مبلغ مالي سنوي أو شهري للحصول على مساحة تخزين أكبر بكثير. ويُنشئ هذا الموقع استيراد ملفات من مواقع أخرى إلى مساحة التخزين الشخصية دون المرور من وساطة الجهاز الشخصي. تأسس في عام 2006م ووصل عدد زواره في 2008م إلى 9 مليون زائر يومياً.

- خدمة قرص غوغل <http://drive.google.com>: مساحة يمنحها موقع غوغل مجاناً لمستخدميه كي يخزنوا فيها ملفاتهم، ويستغلها الكثيرون في نشر الكتب التي يحملونها من الشبكة ويوبونها، ثم يضعونها رهن القراء. ومن أمثلة ذلك الحيز المسعى «مكتبتي»²³، الذي يشتمل على العديد من الكتب القيمة مصنفة في ستة أبواب، وهي (يومه 08 أبريل 2015):

(1) سلسلة عالم المعرفة (267 كتاباً)؛

(2) سلسلة عالم المعرفة الجديدة (104 كتاباً)؛

<http://www.qassimy.com/vb/showthread.php?t=560721>

- صفحة مواقع وقواعد البيانات ومحركات البحث عن الكتب والأبحاث والمخطوطات وتحميلها، بملتقى أهل التفسير:

<http://vb.tafsir.net/tafsir38987/#.VUNaXPArU1s>

- صفحة أفضل المواقع العالمية لتحميل كتب مجانية بمدونة «وسام نت»، وهي مدونة متنوعة يقدمها صاحبها باعتبارها «كل ما هو جديد من البرامج وشروحات البرامج والحماية وأهم المواقع وتصميم المواقع وتعلم عبر الأنترنت وأهم ألعاب وبرامج الموبايل وكورسات التعليم وأخبار التقنية...».

http://alw88issam.blogspot.com/2014/11/blog-post_14.html

- صفحة تحميل وقراءة كتب PDF مجاناً من 33 موقعا بمدونة «مجلة السوسيوولوجيا»:

<http://magsociologie.blogspot.com/2014/05/pdf-33-books-free-pdf-livers.html>

- صفحة دليل أضخم وأكبر المكتبات العربية الإلكترونية المجانية للكتب والأبحاث والمجلات الشاملة والموسوعات الشاملة بمجلة «المدير المالي»:

<https://fmalaa.wordpress.com/2011/07/17/boo/>

²³ عنوان المكتبة هو:

<http://drive.google.com/folderview?id=0B0TgqRbYbOKIVVJoMU0tRHJFREU&usp=sharing>

(3) إبداعات عالمية (32 كتاباً)؛

(4) الكتب العلمية والعلوم الطبيعية (170 كتاباً)؛

(5) سياسة وفنون وإعلام (52 كتاباً)؛

(6) سياسة، اقتصاد، قانون (181 كتاباً)؛

(7) فكر، فلسفة، اجتماع وعلم النفس (392 كتاباً)؛

(8) موسوعات، معاجم وحضارات (126 كتاباً).

2.7. مواقع ومدونات ومنتديات:

تُخصَّصُ العديد من المواقع والمنتديات والمدونات لتبويب الكتب المتوفرة في الشبكة، وإدراج روابط الوصول إليها، ثم وضعها مجاناً رهن إشارة رواد الشبكة. وقد ظهر هذا النوع من المنابر للنشر بظهور الويب 2.0 في عام 2004، وهو في ارتفاع متواصل.

من أمثلة/المواقع:

- موقع المصطفى www.al-mostafa.info: يشتمل على عشرات آلاف الكتب والمخطوطات باللغة العربية من سائر الحقول المعرفية متاحة للتنزيل المجاني بصيغة PDF، وقد اختفت أبواب الموقع من صفحته الرئيسية ليتحوَّل، بذلك، إلى شبه مستودع توصل إلى محتوياته محرّكات البحث؛

- مدينة الكتب <http://www.books-city.com>: وتشتمل على أكثر من 100000 كتاب بصيغة PDF؛

- الوراق www.alwaraq.net: أنشئ سنة 2000، ويهدف إلى إحياء التراث العربي من خلال نشر عيون الثقافة العربية الكلاسيكية وتوفيرها للجميع مجاناً على شبكة الأنترنت؛

- موقع جديد الكتب: www.booksjadid.org: يشتمل على روابط تحميل عدد كبير من الكتب المرقمنة بصيغة PDF، مبنية في أربعة أقسام، هي: العلوم الإنسانية، والعلم والتكنولوجيا، واللغة والآداب، ثم العلوم الدينية؛

- كتب PDF <http://www.kutubpdf.net>: ويشتمل على آلاف روابط تنزيل كتب متوفرة في الشبكة، بعد تصنيفها إلى 32 قسماً. ويمكن تحميل الكتب من مدخل الأقسام أو من مدخل المؤلفين، كما يتوفر الموقع على محرك بحث داخلي يتيح الوصول إلى الموارد النصية مباشرة.

ومن أمثلة/المدونات:

- مكتبة علم الاجتماع الإلكترونية <http://dz-sociologie.blogspot.com>: مدونة متخصصة في مؤلفات العلوم الاجتماعية باللغتين العربية والفرنسية، وهي من أفضل ما يمكن العثور عليه اليوم في الشبكة للحصول على نسخ مجانية من كتب حديثة قيمة باللغة الفرنسية في العلوم الاجتماعية، بصيغة PDF، إذ لا تتقيد بشرط انتقال ملكيتها إلى المجال العمومي.

- موسوعة الكتب: <http://download-pdf-books-4free.blogspot.com>: تشتمل على روابط آلاف الكتب مصنفة في 51 قسماً.

بالإضافة إلى ما سبق، تفرد العديد من المنتديات العربية، بكافة أصنافها، أقساماً لنشر الكتب المتوفرة في الشبكة من خلال إدراج روابطها، وإتاحة تنزيلها إما للأعضاء وحدهم أو لهؤلاء ولعموم الزوار. كما تختص منتديات أخرى حصراً في نشر الكتب.

من أمثلة الأولى:

- خزانة الكتب والأبحاث بمنتديات ملتقى أهل الحديث:

<http://www.ahlalhdeth.com/vb/forumdisplay.php?f=16>

- منتدى الكتاب بمنتديات ندى الأقلام الحرة:

<http://a-nada.com/vb/forum.php>

- ساحة المكتبة الرقمية المتخصصة ببوابة داما:

<http://www.damagate.com/vb>

ومن أمثلة الثانية:

- مكتبة الإسكندرية²⁴: من أضخم المنتديات العربية المتخصصة في نشر الكتب المرقمنة، ويتكون من ست ساحات رئيسية، هي: مكتبة نوبل، والمنظمة العربية للترجمة، وموسوعات ومعاجم وحضارات، وروائع الأدب العالمية والعربية، وسياسة واقتصاد وقانون، ثم فكر وفلسفة ومعارف؛

3. النشر السمعي والسمعي البصري:

إضافة إلى ما سبق، تُرفَعُ موارد نصية ضخمة بأشكال سمعية، وأخرى سمعية بصرية:

3.1. نصوص سمعية:

إلى جانب توفر الكثير من المواقع المذكورة أعلاه (كأرشيف الأنترنت، ومواقع تخزين الملفات) على موارد سمعية، تختص العديد من المواقع في إتاحة الاستماع إلى كتب صوتية وتحميلها، منها على سبيل المثال:

- <http://www.literatureaudio.com>: أغلب كتبه المعروضة انتقلت ملكيتها إلى المجال العمومي، كما توجد فيه

نصوص معاصرة، ويقوم بالتسجيل متطوعون يتبرعون بأصواتهم .

- <http://www.audiocite.net>: يشتمل على عدد كبير من الكتب السمعية مبنية في 16 باب، بينها الرواية،

والقصة، والشعر، والفلسفة، والأديان، والمسرح. ويوفر الموقع محرك بحث داخلي لتسهيل البحث عن الموارد السمعية المتوفرة داخله وفي الشبكة؛

- <http://librivox.org>: ويتيح تحميل نسخ سمعية من كتب انتقلت ملكيتها إلى المجال العمومي في سائر اللغات،

بما فيها العربية.

- الكتاب المسموع <http://www.audiobookar.com>: وهو أكبر موقع عربي للكتاب السمعي باللغة العربية،

يشتمل على العديد من الكتب الأدب والفن ومسرحيات إذاعية؛

²⁴ <http://alexandra.ahlamontada.com>

- المكتبة الصوتية <http://feed.mijobooks.com>: وفيه عدد من الكتب الأدبية والفكرية، يسمَحُ بسماعها في الموقع مباشرة، كما يُتَبَحُّ تنزيل كل شريط على شكل ملف سمعي بصيغة MP3؛

إضافة إلى ما سبق، يزخر موقعا Dailymotion وyoutube، وغيرهما من المواقع المتخصصة في رفع الملفات الصوتية وأشرطة الفيديو، بعدد كبير من الكتب المسموعة، في سائر اللغات، وفي أكثر حقل (أدب، نقد أدبي، رواية، شعر، الخ.).

ويكفي أن يتيح الموقع الثاني لأعضائه مُشاركته منه مباشرة أو حتى من خارجه على غرار ما تسمَحُ بذلك مواقع لرفع الملفات كالميديا فاير، أو بعض مواقع التواصل الاجتماعي كالفايس بوك، فيصبح بإمكان أي عضو أن يُنثي إذاعة أو قناة للكتب السمعية، يعرض فيها ما ينتقيه ويؤبه من نصوص الأعمال المسموعة المتوفرة في الشبكة، تماما كما أنشأ مُستخدمون آخرون بالفعل مكتبات محترمة من مجرد انتقاء وتبويب عدد من الكتب المرقمنة الموجودة في الأنترنت وعرضها في مدوناتهم. ومع أنّ الموقع لا يُتيح هذا الخيار، فقد بدأ بعض المستخدمين في إنشاء قنوات سمعية مختصة في بث الكتب أو برامج إذاعية ثقافية، منها:

- قناة الدكتور أحمد كلحي²⁵: وتشتمل على الأبواب التالية: مكتبة الكتب المسموعة، وإسلاميات، وأدب، وطب وجراحة، وخطب وندوات ولقاءات، وعلوم وتكنولوجيا وطبيعة، فضاء، سياسة وأحداث؛

- قناة تراث عربي²⁶:

- قناة الكتب المسموعة²⁷: تشتمل على أبواب البلاغة واللغة والجوامع، وعلى العديد من الكتب السمعية التي تحتاج إلى تصنيف؛

- قناة كتاب مسموع لعلي غازي²⁸: وتشتمل على 129 كتابا مسموعا؛

3.2. برامج إذاعية ثقافية:

وفرت شبكة الأنترنت لمحطات الإذاعة ليس فرضة بث برامجها مباشرة من الفضاء الأزرق، بل وكذلك تخزين نسخ من برامجها المُدّاعة قبل ظهور الشبكة وأخرى من التي تُداعُ اليوم. من أمثلة ذلك:

- إذاعة فرنسا الثقافة²⁹ Franceculture: متخصصة في الثقافة، تبث برامجها مباشرة من موقعها على الشبكة، كام تحفظ نسخا من البرامج المبتوتة، مبنوة كالتالي: أخبار، أدب، أفكار، فنون ومسرح، تاريخ، علوم.

- قناة Raisonances³⁰: تشتمل على التسجيل الكامل لمجموع حلقات برنامج إذاعي فرنسي بالاسم نفسه، مبنوة في الأقسام الرئيسية: أديان وروحانيات، فنون، وعلوم إنسانية، وتحت كل باب أقسام فرعية. فعلى سبيل المثال، ينقسم باب العلوم الإنسانية إلى فروع: الفلسفة (96 شريطا)، والأحياء والألّهة (50 شريطا)، ثم علوم النفس (11 شريطا)، ويشتمل قسم «الأديان والروحانيات» على الأقسام الفرعية التالية: اليهودية / المسيحية (65 شريطا)، والهندوسية (أشرطة فرنسية) (28 حلقة)، ثم الهندوسية (أشرطة بالإنجليزية) (55 فيديو)؛

²⁵ <https://www.youtube.com/user/ahmedkelhy>

²⁶ <https://www.youtube.com/user/TorasAraby>

²⁷ <https://www.youtube.com/user/AudioBookss>

²⁸ <https://www.youtube.com/user/matroooooooooo>

²⁹ <http://www.franceculture.fr>

³⁰ <https://www.youtube.com/user/gabrielshare>

3.3. نصوص سمعية بصرية:

ويتعلق الأمر بنشر التسجيل الكامل لمحاضرات وندوات وبرامج ثقافية متلفزة، حيث توضع على شبكة الأنترنت، ويمكن التمييز في هذه الملفات بين نوعين:

- نوعٌ يُكتفى فيه بتسجيل محاضرة واحدة أو أعمال ندوة معينة ثم رفعها إلى الشبكة، ويوجد عدد ضخم من هذه الملفات في مواقع كاليوتوب و [Dailymotion.com](http://www.dailymotion.com) وما شابههما؛

- نوع يتمثل في سلسلة محاضرات دائمة ومنتظمة تقوم بها جهة أو مؤسسة ما، وتوضع تسجيلاتها كاملة إما في موقع مخصص للجهة المنظمة، ومثاله:

- جامعة كل المعارف www.canal-u.tv: أنشأت بمبادرة من الفيلسوف الفرنسي إيف ميشو، بباريس سنة 2000، ويحتوي موقعها على التسجيل الكامل لمجموع محاضراتها (تلقى بأحد مدرجات جامعة السوربون)، وفي كافة ضروب المعرفة، مع إمكانية تحميل تسجيل العديد من المحاضرات ونصوصها بصيغة PDF. تصدر نصوص المحاضرات أيضا تباعا في مجلدات ورقية بلغ عددها اليوم 20 مجلدا تُرجم منها إلى العربية المجلد الثاني (ما الإنساني؟)³¹، والخامس (ما التكنولوجيا؟)³².

- موقع الكوليج دُ فرانس³³: يُطلق أشرطة مسجلة من الدروس التي تلقى فيه، وبلغ عددها اليوم (07 ماي 2015) 4553 شريط سمعي، و4169 شريط سمعي بصري. وكان الكوليج قد أطلق من قبل 900 ساعة للمتابعة في موقع آخر³⁴، ثم تراجع وحذف هذه الأشرطة، ليستبدلها بمقاطع قصيرة جدا لا يتجاوز الواحد منها بضع دقائق..

- قناة جامعة نانت³⁵ Nantes الفرنسية: وتشتمل على أقسام: البحث، والتكوين، ومحاضرات وندوات، سؤال وباحث، ثم شهادات؛

- قناة الجلسات (أو اللقاءات) الدولية للرواية³⁶: هذه اللقاءات هي عبارة عن أسبوع من الاجتماعات، والقراءات، وموائد مستديرة مع كتاب من سائر أنحاء العالم، تُجرى سنويا في مدينة ليون ومنطقة رون الألب الفرنسيين، لتبادل وجهات النظر والنقاش بين الكتاب والنقاد، وتبسيط أوضاع جديدة على المسائل الأدبية، والقضايا الاجتماعية، تنظمها مؤسسة إقامة فيلا جيلي³⁷ وصحيفة لوموند بشراكة مع إذاعة فرنسا الدولية وآخرين.

- قناة مدينة مونبوليه الفرنسية³⁸: وتشتمل على عدد من الأبواب، منها على الخصوص: اللقاءات الكبرى، وكوميديا الكتاب، وساحة المعارف، وهي سلسلة محاضرات مفتوحة في وجه العموم مجانا، تنظم كل يوم أربعاء على

³¹ إيف ميشو (إشراف)، جامعة كل المعارف. ما الإنساني؟، الجزء الثاني، 716، . ترجمة محمد نايت الحاج وعبد الهادي إدريسي، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، 2005 (526 ص.)

³² إيف ميشو (إشراف)، جامعة كل المعارف. ما التكنولوجيا؟، الجزء الخامس، 718، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، 2005 (920 ص.)

³³ <http://www.college-de-france.fr/site/college/index.htm>

³⁴ Le Collège de France publie 900h de contenu sur Dailymotion:

<http://www.nextinact.com/archive/53567-college-france-dailymotion-cours-disponibles.htm>

³⁵ <https://www.youtube.com/user/UnivNantes>

³⁶ <http://www.dailymotion.com/user/Villa-Gillet/>

³⁷ تأسست في عام 1987، وتهتم بجميع أشكال الثقافة: الأدب، والعلوم الإنسانية، والفلسفة السياسية والاجتماعية، والتاريخ. تنظم على مدار العام لقاءات، في مدينة ليون، ومهرجانات دولية، مثل اللقاءات الدولية حول الرواية، وجدران وجسور (يقام في نيويورك)، ومهرجان الأفكار... عن الموقع الرسمي:

<http://www.villagillet.net/>

³⁸ <http://www.dailymotion.com/user/villedemontpellier>

الساعة 8:30 مساءً، وأفردتها قناة في اليوتيوب³⁹، فضلاً عن قيام دار علوم الإنسان بمدينة موندوليه، بتسجيلها وبثها على موقعها، وبثها أيضاً مباشرة عبر قناة تلفزيونية رقمية في الشبكة⁴⁰.

- قناة France Culture Plus⁴¹: وتنشر تسجيل محاضرات ولقاءات في شتى ضروب الفكر والمعرفة المنظمة في أماكن عدة؛

بالإضافة إلى ما سبق، تخصص عدد من الجامعات قنوات لبث دروس أساتذتها أو أساتذة بعض المواد، من ذلك:

- قناة جامعة غرّة⁴²: وتشتمل على التسجيل الكامل لدروس عدد كبير من المجزوءات المدرسة في الكليات التابعة للجامعة، في العلوم الإنسانية والعلوم المحضرة على السواء؛

- قناة الأستاذ جان ميشال دوفاي⁴³: تبث التسجيل الكامل لعدد ضخم من الدروس التي قدمها هذا الأستاذ المساعد بالمدرسة العليا بول هنري سباك Paul Henri Spaak بلجيكا، ويعيد مشاركتها في صفحاته بمواقع التواصل الاجتماعي، مثل الفيسبوك وغوغل بلوس⁴⁴.

- قناة ليونيل سوكاز⁴⁵: تشتمل على مئات الدروس المسجلة من جامعة باريس VIII؛

4. النشر الشخصي:

ويتم بطرق عديدة: المواقع الشخصية، والمدونات، والصحف والمجلات الإلكترونية، والمنتديات، ثم شيكات التواصل الاجتماعي، وفي مقدمتها موقع الفيسبوك؛

4.1. المواقع الشخصية: من خلال شراء اسم نطاق وكراء مساحة استضافة أو بالاستفادة من خدمة التسكين المجاني التي تقدمها شركات عديدة، يستطيع كل من شاء نشر كتاباته أن يضع ما شاء من الموارد على الخط. ويشهد هذا النوع من المنابر تزايداً ملحوظاً، إذ - وعلى سبيل المثال - باستشارة محرك غوغل يومه، تمّ الحصول على النتائج التالية:

* الموقع الشخصي للأديب: 41000 صفحة؛

* الموقع الشخصي للأديبة: 654000 صفحة؛

* الموقع الشخصي للشاعر: 579 صفحة؛

* الموقع الشخصي للشاعرة: 383000 صفحة؛

39 ???

<https://www.youtube.com/channel/UC18XXEK0g3r9du5Xb8zFcYQ>

40 <http://www.msh-m.fr/le-numerique/production-audiovisuelle/article/agora-des-savoirs>

41 <http://www.dailymotion.com/francecultureplus>

42 <https://www.youtube.com/user/iugaza1>

43 ???

<https://www.youtube.com/channel/UCcuWKbHMevpYXN38Gle8VA>

44 <https://plus.google.com/+JeanMichelDufays/posts>

45 <http://www.dailymotion.com/user/soukaz>

4.2. المدونات:

المدونة عبارة عن برنامج لإدارة محتويات المواقع، مصمّم في الأصل لنشر المقالات القصيرة بشكل منتظم. إلا أنّ العديد من المستخدمين يستغلون هذه الإمكانية للنشر الشخصي، فيضعون على الخط سائر أنواع الموارد: أعمال ومقالات أدبية، دراسات نقدية وفكرية، كتب مرقمنة، أخبار متنوعة، برامج المعلوماتية، أشرطة فيديو، بل وحتى إصدار مجلات غرار ما نجد لدى اتحاد كتاب الأنترنت المغربية⁴⁶، ومجلة انتهاكات...

يمكن إلحاق المدونة بالموقع الشخصي، بتثبيت اسكربت لهذا الغرض، يأخذ شكل موقع فرعي مصمّم بإحدى لغات البرمجة، يُراعى في تصميمه إمكانيات التبويب، واستشارة التدوينات حسب التاريخ أو الأبواب أو انطلاقاً من أرشيف التدوينات. كما يُمكن الحصول على مدونة من العديد من الشركات التي تقدم هذه الخدمة مجاناً مقابل إدراجها وصلات إخبارية. وأشهر

4.3. الصحف والمجلات الإلكترونية: وتقوم بنشر العديد من النصوص الإبداعية والبحوث والدراسات، بل وحتى الكتب، ومن أمثلة ذلك موقع أنفاس www.anfasse.org، والحوار المتمدن، وأوان، وغيرها كثير جداً.

4.4. المنتديات: وهي مواقع تفاعلية، ظهرت بظهور الويب 2.0 سنة 2004، تقتضي المشاركة فيها، أي إدراج تعقيبات ونصوص إبداعية ومقالات ودراسات وروابط كتب مرقمنة، وما إلى ذلك، التسجيل في المنتدى الذي قد يكون متخصصاً أو متعدد الأقسام. وقد بلغ عدد المنتديات والساحات الأدبية العربية في يومنا هذا (2015/04/01) 821000 منتدى وساحة.

4.5. مجموعات المحادثة: وهي خدمة مجانية تتيحها العديد من المواقع، مثل ياهو، وغوغل، يُمكن لأي فرد أن يُنشئ مجموعته، بفتح باب التسجيل لكل من شاء فيها، من مدخل البوابة، كما يُمكن لأي فرد أن ينضم إلى المجموعة بمنتهى السهولة والانسحاب منها متى شاء.

ويتم التواصل جماعياً بين أفراد المجموعة، حيث إن يشأ أي عضو نشر مادة أو خبر أو رابط، وما إلى ذلك، يكفيه أن يبعث بما يُريد نشره، فيصل إلى مجموع باقي الأعضاء على شكل رسالة تصل إلى بريده الإلكتروني. وقد كانت هذه المجموعات واسعة الانتشار قبل ظهور الويب 2.0 في سنة 2004، ومنذ ذلك التاريخ وهي في تراجع متواصل، ويتوقع أن تختفي نهائياً لأنّ المنتديات ومواقع التواصل الاجتماعي حلت محلها لما تتيحه من سرعة في التواصل...

4.6. شبكات التواصل الاجتماعي: ويستغلها أدباء وكتاب وطلبة باحثون ومبدعون للتواصل ونشر موارد نصية يكتبها الأعضاء ونشر روابط لتنزيل الكتب من مختلف أماكن تخزينها بشبكة الأنترنت. ومن أمثلة ذلك بشبكة الفيسبوك: * صفحات رابطة أدباء الجنوب، وأدب القصة العربية الحديثة، ومجلات وملاحق وجرائد ثقافية وأدبية أتابعها، وشعراء، وشعراء وكتاب المشرق والمغرب العربي، وما إلى ذلك:

* صفحات مكتبة اللغة العربية واللسانيات، ومكتبة - Library، ومكتبة إي - كتب الإلكترونية، ومكتبة تنويريين (تكتفي بنشر عناوين الكتب مع وصف مقتضب لكل كتاب دون إيراد رابط تحميله)، مكتبة الطالب الباحث الإلكترونية، المكتب الثقافية، الخ.

⁴⁶ <http://isdaratueimarocains.blogspot.com>

7.4. عواقب النشر الرقمي على الأدب:

كثيرة لم يسلم منها أي مكون من مكونات الظاهرة الأدبية (النص، المؤلف، القراءة، القارئ، النشر، الملكية الفكرية)، منها:

- أنه صار بإمكان أي كان أن يلج الوضع الاعتباري للأديب، خارج مصافي النشر التقليدية، بمعنى أن الوضع الاعتباري للمؤلف هو الآن بصدد المراجعة، إضافة إلى فقدان هذا الفاعل الثقافي لسلطته الرمزية؛

- إمكانية تدخل أطراف عدة لتعديل محتويات العمل الأدبي، وإعادة نشرها بدون علم المؤلف الأصلي؛ وحيث لا يمكن للمؤلف أن يتوقع التعديلات التي يمكن أن يُجرىها القراء على عمله، فالكتابة الرقمية تعيدنا إلى مرحلة ضجيج المخطوط⁴⁷، كما تهدد الملكية الفكرية؛

- إمكانية النشر المتقطع للعمل الواحد، وهو ما يسميه البعض بـ «العمل في تطور» *l'œuvre en progrès*، بمعنى أن الرقمية حررت النصوص من شرط الاكتمال للوصول إلى القراء. لا أحد يمنع الكاتب أو الباحث الذي ينشر إنتاجه في الشبكة العنكبوتية من وضع فصول كتابه رهن إشارة القراء واحدا تلو الآخر في أوقات زمنية لا يحددها سوى رضاه عن الصيغة «الأخيرة» للفصل المحرر. ومعناه أن الكتابة صارت ورشة مفتوحة على الدوام، حيث يمكن للمؤلف أن ينشر عمله متقطعا، بل وبإصدارات مختلفة، ما يتيح له ولقرائه معاينة تشكل تفكيره/إبداعه وتطوره؛

- إمكانية التعديل اللانهائي على النصوص المنشورة (بإعادة صياغة فقرات أو فصول، حذف أجزاء وإضافة أخرى، حجب هذا العمل أو ذلك كاملا من الموقع، الخ.)، والحديث هنا طبعا عن المواقع الشخصية والمنتديات والمدونات؛

- إلغاء الحدود بين المسودة *brouillon* (التي ظهرت بعد اختراع المطبعة) والنص النهائي؛ لم يعد النص يحتاج بلوغ النسخة النهائية المكتملة غير القابلة لتعديل كي يُنشر. في هذا الصدد، نجد دراسات لعلماء كبار كتبت منذ أكثر من عقد ونشرت باعتبارها نسخا مؤقتة⁴⁸ دون أن تنزل النسخة النهائية حتى اليوم، أو نُشرَتْ بنواقص دون أن تُستدرك إلى الآن⁴⁹. صار النص، خلافا لما عليه الأمر في الحوامل السابقة، نسا بلا مخطوط واختفت المسودة⁵⁰؛

- مع الرقمية صارت الكتابة أرضا مشاعا لا يحتاج القادم إليها جواز سفر ولا تأشيرة مرور. صار بإمكان أي كان أن ينشر ما شاء من النصوص، تحت الجنس الأدبي الذي يختار، دون حاجة إلى وساطة حلقات النشر التقليدي (هيئات القراءة، هيئات التحرير، دور النشر، شركات التوزيع، نقط البيع من مكتبات وأكشاك)، ما يعيد النظر في الوضع الاعتباري للمؤلف ومفاهيم القراءة والكتابة والملكية الفكرية، ويوسع قاعدة الكتاب والمثقفين الحقيقيين أو المزعومين بشكل غير مسبوق في التاريخ. هل يجب التفاؤل لهذه الديمقراطية للكتابة والقراءة أم ينبغي التشاؤم منها؟

لقد خص أمبرطو إيكو هذه المسألة التي يُطلق عليها اصطلاح «المصفاة»⁵¹ (أو مصداقية المعلومة) بإشارة لا تخلو من تشاؤم حيث قال: «إن الاتجاه ماض نحو حضارة لكل فرد فيها نسقه الخاص لتصفية المعلومات، أي أن كل فرد

⁴⁷ نفسه

⁴⁸ مثال ذلك دراسة الفيلسوف بيير ليفي:

- Essais sur la Cyberculture : L'Univers sans totalité, *op.cit.*

⁴⁹ مثال ذلك دراسة جان بيير بالب:

http://incident.net/users/gregory/pdf/jean-pierre-balpe/jpb_manifeste.pdf

⁵⁰ Jean-Pierre Balpe, *Écriture sans manuscrit, brouillon absent, op.cit.*

⁵¹ حول هذه المسألة ينظر: م. أسليم، «الرقمية وقضية المصفاة»، ورقة أُلقيت ضمن أشغال لقاء *أسئلة الأدب الرقمي*، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مكناس، يوم 21 دجنبر 2004:

<http://www.m-aslim.net/site/modules/news/article.php?storyid=265>

يصنع موسوعته الخاصة. واليوم، مجتمع متألف من 5 مليار موسوعة متنافسة، لهو مجتمع لم يعد يتواصل إطلاقاً⁵². لكن أمبرطو إيكو نفسه عاد ليمتنع عن إبداء أي حكم قاطع في المسألة تاركاً الباب مفتوحاً أمام جميع التكهينات ومجهداً في صياغة تخمين متفائل:

«قد يتعلق الأمر بثورة في الذوق لسنا قادرين على تبين نتائجها. فمن وجهة نظر تقليدينا الثقافي، قد يكون شيئاً في منتهى الخطورة. ولكن يمكننا التفكير فيه بطريقة أخرى: كانت مصافي الذوق في الأدب تهم فقط 0,5% من السكان. وإذا كان اليوم 70% من السكان المبحرين في الشبكة يفضلون شعراً أو محكياً وجدوه صُدفة، فيمكننا القول إن هؤلاء الذين ظلوا إلى الآن مقصيين من تذوق الإنتاج الأدبي قد استطاعوا أخيراً أن يتواصلوا مع هذا الشكل أو ذاك من أشكال التعبير الأدبية. وسيكون الأمر كذلك ثورة. ثورة ممكنة التطويع مادام الفرد الذي يربي نفسه صدفة في النت ويلتهم أي شيء، سيجد نفسه عندما سيلتحق بالجامعة أو يشرع في العمل، قد عثر بأعجوبة على مقاييس وسيطور جموحه السابق؛ ولكن هذا كله لا يعدو مجرد تكهن خالص»⁵³.

مهما يكن من أمر، فيظهور الأدب الرقمي واعتماد الشبكة أداة للنشر صار بالإمكان التمييز داخل الأدب والأدباء بين أربع فئات:

- أدباء رقميون بالمعنى الاصطلاحي للأدب الرقمي: وهم الذين يقتصرزون في كتاباتهم على إبداع نصوص لا تغادر الحاسوب كتابة وقراءة، قد تكون مركبة بحيث تشتمل على الخط والصوت والصورة، وقد تكون متحركة، أو تشعبية أو مولدة بالحاسوب عبر البرمجة، ولا نعرف أديبا عربيا واحدا ينتمي حصريا ضمن هذه الفئة خلافا لما عليه الأمر في ثقافات أخرى؛

- أدباء رقميون بالمعنى العام للاصطلاح: وهم الذين يكتبون نصوصا تنتمي إلى أجناس اكتمل تشكلها قبل ظهور الوسيط الرقمي (قصة، شعر، رواية، الخ.)، ولا يستخدمون الحاسوب سوى باعتباره حاملا support ووسيطا للنشر؛
- أدباء مخضرمون يزاوجون بين الحاملين الورقي والرقمي: وهم الذين يندرجون في الفئة السابقة، لكنهم يحرصون على مواصلة النشر ورقيا، بل ومنهم من يبدأ رحلة الكتابة في الفضاء الرقمي، ثم يعيد نشرها عبر وسيط الورق؛
- وأخيرا هناك الأدباء الورقيون: وهم الذين لا يتعاملون أصلا مع الحاسوب أو لا يستخدمون أيا من وظائفه السابقة، وعدد هؤلاء في تناقص.

يُستخلص مما سبق أنّ الكتابة تشهد زخما غير مسبوق، فما يُنشر في الشبكة بات أكثر مما يُقرأ، ما دفع بعض النقاد الرقميين إلى وصف هذا الفوران بأنه «نزيف للخطاب»⁵⁴، وما يطرح أيضا كون القراءة صارت من التحديات الكبرى التي تطرحها الرقمية على الإنسان: كيف نقرأ كل هذا الكم الهائل من النصوص؟ وهل نستطيع فعلا قراءة كل ما يُنشر؟ ما مستقبل القراءة؟

5. الأدب التقليدي في العصر الرقمي

هناك حادثة تدل على حجم التحول الذي تلحقه الرقمية بالأدب التقليدي: ففي عام 2001، أراد الكاتب الأمريكي ستيفن كينغ أن يستأثر بعائدات كتاباته مباشرة، دون وساطة ناشره الورقي، فأنشأ موقع إلكتروني كلفه 170 ألف

⁵² Emberto Eco, *Auteurs et autorités, Un entretien avec Gloria Origgi*. Traduction d'Anne-Marie Varigault : <http://www.scribute.com/limba/franceza/Auteurs-et-autorit35563.php>

⁵³ Emberto Eco, *auteurs et autorités...*, *op.cit.*

⁵⁴ - Fabio Caprio Leite de Castro, *Le postmoderne ou l'hémorragie du discours* : <http://www.sens-public.org/spip.php?article480>

دولار، ثم شرع في نشر روايته الأخيرة التي كانت قيد الكتابة على حلقات، حيث كان يتعين على القارئ أن يسدد دولارا واحدا مقابلاً لقراءة كل فصل من موقع المؤلف. ولكن المفاجأة كانت أنه، في غضون ستة أشهر، انهار عدد القراء، ما اضطر الكاتب إلى التوقف عن كتابته⁵⁵.

تتيح هذه القصة استخلاص درس أن المؤلف والأدب التقليديين حالما يلجان الشبكة يتغير وضعهما الاعتباري كلياً:

- فالإنترنت تساوي بين الكتاب على نحو لا مجال فيه لما يسمى بـ «الأعلام الأدبية»⁵⁶.

- بيئة النشر الرقمي تختلف كلياً عن بيئة إنتاج الأدب التقليدي وتلقيه.

- وجود عدد هائل من النصوص القابلة للاستشارة والتحميل المجانيين يغري القراء بالتخلي عن الكتب المنشورة ورقياً، وقد يحول دون اقتنائهم أعمالاً إبداعية بالخصوص؛

- حيث بات الاتصال بالإنترنت جزءاً لا يتجزأ من حياة ملايين الأفراد اليومية، فقد يحتاج القراء إلى أكثر من مجرد نصوص خطية يتم إبداعها وفق قواعد عصر الكتاب.

- رجاحة الرأي القائل بأن مفهوم المؤلف وحقوق الملكية الفردية المنحدرين من الحركة الرومانسية وظهور الرأسمالية هما بصدد المراجعة الآن بفعل الرقمية⁵⁷.

ومع ذلك، فمعظم المطابع ودور النشر الورقي تواصل طبع الأعمال ونشرها ورقياً بما يوحي ألا يغير يحصل الآن. فهل الأمر فعلاً كذلك؟

منذ عام 2000 أكد ديك براك المسؤول عن قطاع النشر بشركة ميكروسوفت أن النشر الورقي سيختفي نهائياً في العشرينيات من القرن الحالي⁵⁸.

وقريباً جداً منا، حثّ تقرير وزارة الثقافة الفرنسية الخاص بـ «الكتاب الرقمي»⁵⁹ لعام 2008 الناشرين التقليديين على ضرورة الاستعداد للتطورات الجارية على صعيد التكنولوجيا الرقمية، والتي يمكن أن تجرف النشر الورقي إلى العالم الافتراضي، كما وضع احتمال ألا يتجاوز صدور الدوريات والمجلات ورقياً عام 2012.

قد لا يقتضي الأمر الانتظار طويلاً لظهور مؤشرين على الأقل:

⁵⁵ Christian Vanderdorpe, *Pour une bibliothèque universelle*:
http://www.le-debat.gallimard.fr/debat/html/vandendorpe_christian.htm

وكذلك:

- Louise –Caroline Dias, *Cyberculture: La fracture [du texte] numérique*, Mémoire présenté dans le cadre du DESS, Université Lumière Lyon II, 2002, pp. 31, 71, 83.

⁵⁶ خصصنا مقالة للموضوع، تحت عنوان: الرقمية ونهاية الأعلام الأدبية:

<http://www.midouza.net/vb/archive/index.php/t-1.html>

⁵⁷ André Lemos, «Les trois lois de la cyberculture. Libération de l'émission, connexion au réseau et reconfiguration culturelle», in *Sociétés*: 2006/1 - no 91, pp. 37-48 :

<http://www.cairn.info/revue-societes-2006-1-page-37.htm>

⁵⁸ Jean Clément, *Le «e-book », est-il encore un livre? L'expression «livre numérique » a-t-elle un sens? Le livre traditionnel a-t-il encore un avenir ?*:

<http://www.cndp.fr/archivage/valid/14336/14336-2425-2553.pdf>

⁵⁹ Bruno Patino à Christine Albanel, *Rapport sur le livre numérique*, Ministère de la culture et de la communication Département de l'information et de la communication, le 30 Juin 2008 :

<http://www.culture.gouv.fr/culture/actualites/conferen/albanel/rapportpatino.pdf>

الأول: ظهور مواقع في شبكة الأنترنت تعرض على الزوار خدمة نشر أعمالهم بمنتهى السهولة وبالصيغة التي يشاؤون (ورقية أو رقمية)، إما بمقابل، فتصلهم أعداد النسخ المطلوبة إلى منازلهم في ظرف لا يتجاوز 24 ساعة⁶⁰، أو بدون مقابل، فتعرض الأعمال للبيع في كبريات الأسواق العالمية، بما فيها موقع أمازون⁶¹، وتتم العملية في الحالة الثانية وفق المراحل التالية:

- اختيار إعدادات للصفحة ضمن خيارات محدّدة سلفا؛

- رفع الملف من الحاسوب الشخصي إلى خادم الموقع؛

- الحصول أوتوماتيكيا على ترقيم دولي؛

- العرض للبيع.

كل ذلك يتم دون مطالبة بالإدلاء بما يفيد أن صاحب العمل كاتب فعلا بالمعنى الاصطلاحي ولا إخضاع للعمل لأي فحص أو مراقبة.

وسحب العمل لتسويقه ورقيا لا يتم بالطريقة التقليدية التي تقتضي طباعة أعداد كبيرة من النسخ، بل يتم بعد الطلب ويتحدد بعدده لو تعلق الأمر بنسخة واحدة، وذلك بفضل ظهور طابعات تتيح هذا النوع من الخدمات، مثل الطابعة المجزئية *imprimante modulaire*، ما يفيد أن زمن السحب بأعداد كبيرة للعنوان الواحد مع ما تقتضيه من ضرورة تخصيص فضاء مكاني لتخزين للمسحوبات والمرجوعات لن يدوم طويلا، وأنّ الأدب قد يفقد قيمته ويتحول إلى مادة استهلاكية مبتذلة بإمكان الجميع إنتاجها كما بوسع الجميع أن يقتنوها.

علما بأن اعتبارات من خارج التكنولوجيا والإنسان قد تسرع باختفاء الورق وهي ضرورة الحفاظ على الطبيعة؛ كل الكلام الرائج اليوم حول مشكلة المناخ والتعدد البيولوجي يرتد في نهاية المطاف إلى الإبدال ما بعد الحداثي الذي يرى أن «الميثاق الطبيعي هو بصدد تعويض الميثاق الاجتماعي»⁶². حيث سيصير من الآن فصاعدا لجميع المخلوقات حقوق يمضي البعض إلى حد إنشاء برلمان للدفاع عنها⁶³. وهذا الإبدال نفسه واحد من مظاهر العودة إلى التقاليد البدائية، حيث كان الإنسان يعمد إلى منح الطبيعة هبة (قرايين، طقوس، الخ.) مقابل ما يأخذه منها⁶⁴.

أما المؤشر الثاني، فهو التجريب الجاري حاليا لأجهزة متخصصة في القراءة، مثل الكتاب الإلكتروني *e-boock* و«الحقيبة الإلكترونية»، الذين لم يكن تصريح الألفية للأمم المتحدة الصادر عام 2000 بأقل دواعيه. فبمجرد التوصل إلى اختراع نموذج معياري واعتماده في المؤسسات التعليمية سيخرج التلاميذ من الإعاقة التي يجدون أنفسهم فيها لدى الوصول إلى المدرسة التي تعزلهم عن بيئة تنشئهم الاجتماعية، حيث تهيمن الصورة والصوت، وتكرههم على التعامل مع كتابة تُرفق بصور توضيحية في أفضل الأحوال. وهذا ما يبدو أنه في طريق التحقق الوشيك، إذ مع الانتشار المتزايد لجهاز الحاسوب اللوحي مؤخرا (أيباد) وتبنيه من لدن بعض الدول بديلا للكتاب المدرسي الورقي يُمكن افتراض أنّه ربما تمّ العثور أخيرا على النموذج المبحوث عنه. فمنذ بضعة أسابيع أعلنت شركة أبل أنها على أبواب إحداث ثورة في قطاع

⁶⁰ مثال عن هذا النوع من المواقع:

<http://www.imprime-ton-livre.com/index.php>

⁶¹ مثال عن هذا النوع من المواقع:

<http://www.lulu.com/fr>

⁶² CRPGL, La crise de la modernité..., *op.cit*

⁶³ نفسه.

⁶⁴ نفسه.

التربية والتعليم، حيث «الحقائب المدرسية الثقيلة والمليئة بالكتب الدراسية غالية الثمن ستصبح شيئا من الماضي»⁶⁵، وذلك على إثر تصنيع الشركة حاسوباً لوحياً لا يتعدى سعره 15 دولاراً يُخزّن رقمياً مجموع مقررات دروس فصل دراسي ما⁶⁶.

وبإضافة الاعتبارين السابقين إلى ما ذكرناه حول التحولات التي تدخلها الرقمية على نشاط القراءة، جراء طوفان المواد المتاحة للمطالعة، نستنتج أنّ عالم اليوم يشهد ميلاد أجيال قد لا تكون القراءة عندها اختلاء بالكتاب لوقت طويل.

خلاصة:

مع أنّ الأمثلة المذكورة أعلاه تظل بعيدة عن الإحاطة بواقع هجرة الكتاب من الرفوف الواقعية إلى الرفوف الافتراضية، فإنها تتيح مع ذلك استخلاص ما يلي:

بمجيء الوسيط الرقمي والتزايد المتواصل للقُدرة التخزينية للحواسيب يبدو أنّ حُلْم تكوين مكتبة كونية تشتمل على كافة كتب العالم وفي سائر اللغات الذي راود فلاسفة أمثال ليبنتز، وأدباء أمثال بورخيس، وعلماء أمثال فانيفار بوش، واختصاصي علم الوثائق والمكتبات كبول أوتليه Paul Otlet، قد وجد أخيراً طريقه نحو التحقق، إذ توفر الشبكة لقارئ اليوم من الكتب والبحوث والدراسات ما لم يقع بين يدي أي قارئ منذ نشأة الكتابة إلى اليوم. وإذا كان البعض يرى أن الكتابة قد عثرت أخيراً، مع الحامل الرقمي، على تقنية التسجيل الأكثر موثوقية للبقاء، فإنّ المخاطر التي يُمكن أن تلحق الحواسيب والشبكة، جراء كوارث طبيعية أو غيرها، يُمكن أن تجعل ميراث البشرية بكامله قاب قوسين أو أدنى من الضياع الكلي.

بالإضافة إلى ذلك، فقد أدت هذه الرقمنة إلى تفكيك المكتبة التي استغرق تقليد إنشائها قروناً من العمل، كما إلى تفكيك الكتاب في اتجاهين: نحو الأعلى، حيثُ يجري الانتقال من الكتاب إلى المتن، فصار بالإمكان البحث في المجموعة الكاملة لأعمال مؤلف ما، أو حتى لعدة مؤلفين في فترة تاريخية معينة، عن تواتر مفردة ما أو سلسلة مفردات. أما الاتجاه الثاني، فيتم نحو الأسفل، حيثُ يجري الانتقال من الكتاب إلى المقطع⁶⁷. بالإضافة إلى ذلك، أكسبت الرقمنة النصّ خاصيات جديدة، منها أنه صار يمكنه أن:

- يأخذ أشكالاً مختلفة من حيث نوعية الحروف وحجمها وتنظيم الصفحة؛

- يُقرأ بالاستعانة ببرامج معلوماتية متخصصة؛

- يُزاح من مكانه بحيث يُنشر ويقرأ بشكل متزامن في أمكنة جغرافية متباعدة جداً⁶⁸.

- إمكانية تدخل أطراف عدة لتعديل محتوياته، وإعادة نشرها بدون علم المؤلف الأصلي للعمل. فالكتب التي يُعاد رقعها ونشرها بصيغ Word، وhtm و rtf لا يمكن ضمان عدم ابتعادها عن أصولها المطبوعة أو المخطوطة، سواء عن غير قصد، كأن يتم القفز على كلمات أو فقرات أثناء الطباعة، أو عن سبق إصرار بحذف فقرات أو مقاطع أو تغييرها

⁶⁵ «أبل تطلق ثورة بتقديم الكتب المدرسية على أي باد»، صحيفة المدينة، 2012/01/21:

<http://www.al-madina.com/node/353025>

⁶⁶ نفسه.

⁶⁷ Jean Clément, *L'adieu à Gutenberg* :

<http://manuscritdepot.com/edition/documents-pdf/adiuegutemberg-jclement.pdf>

⁶⁸ نفسه.

لأهداف معينة. وحيث لا يمكن للكاتب أن يتوقع التعديلات التي يمكن أن يُجرىها القراء على عمله، فالكتابة الرقمية تعيدنا إلى مرحلة ضجيج المخطوط⁶⁹، كما تلحق تهديدا جديا بالملكية الفكرية.

وبذلك أصبح النصُّ كائنا سائلا، سريع التنقل والانتشار، في سياق ما يسميه البعض بـ «الانتقال من اقتصاد التخزين *économie du stock* إلى اقتصاد السيولة والتدفق *économie du flux*»، ومن «اقتصاد الندرة إلى اقتصاد الإفراط والإسراف»⁷⁰، ما يقتضي إعادة النظر في تقليد القراءة الموروث عن عصر الكتاب الذي هيمن على مدار القرون الخمسة الماضية؛ فقد أصبحت هذه القراءة تواجه مُعضلتين كبيرتين، تتمثل أولهما في محدودية القدرات البيولوجية للنوع البشري، حيث مهما تبلغ سرعة قراءة شخص ما ومهما يصل عدد الكتب التي يُمكن أن يُندر حياته كاملة لقراءتها، فإنَّ هذه القراءة وهذا العدد لن يكونا بشيء يُذكر أمام الكمِّ الهائل من الكتب المتاحة للقراءة في كافة ضروب الفكر والمعرفة. أما المعضلة الثانية، فترتبط بتحول الوسيط المتعدد إلى عنصر لا غنى عنه في معادلة القراءة. في هذا الصِّدد، يمكن أن تفقد الموارد الخطية قيمتها، لفائدة نصوص تعتمد القراءة والتفاعل والصوت والصورة. وإذا كان هذا المستحدث يطرحُ سؤال مستقبل التعامل مع التراث الورقي المرقمَن، فإنه يطرحُ أيضا سؤال مُستقبل المؤلف بمعناه الشائع اليوم ووضعه الاعتباري المعترف به. فمن المعروف أنَّ المؤسسة الأدبية – وضمناها المؤلف – لم يظهر إلا في العصر الحديث، عقب اختراع المطبعة، واستثمار البورجوازية في قطاع الكتاب، حيث جعلته مادة للربح والمتاجرة، من خلال سنِّ ما يُسمى بـ «حقوق الملكية الفكرية». وإذا صحَّ أن شبكة الأنترنت هي بمثابة قارة جديدة لا تُفرضُ على المقيمين فيها أي قيود في الوقت الراهن، وكانت الشبكة نفسها حقل تنافس في الوقت الحالي، بين ثلاث جهات هي: الحكومات التي تتطلع إلى مراقبة مواطنيها، والصناعات التي تتطلع لخلق سوق عالمية، ثم المستخدمين الذي يطمحون إلى تحقيق رقي اجتماعي عبر الشبكة⁷¹، بل ولفرض قيمها أيضا... إذا صحَّ ذلك، فقد يُعاد الاستثمار في قطاع النشر، على غرار ما تمَّ في العصر الحديث، لحماية الملكية الفكرية وجني أرباح من قطاع النشر بتحويل الأعمال الأدبية إلى برامج/نصوص معلوماتية متعددة الوسائط يتطلب إنتاج العمل الواحد توظيف كلفة إنتاج فيلم سينمائي واحد اليوم تقريبا، وتدخُّل حشد من الخبراء في تخصصات عدة، ما قد يُفضي إلى إعادة نظر جذرية في مفهوم المؤلف ووضعه الاعتباري.

وبخصوص المجال العربي، في ما وراء التقارير القاتمة التي تطلع بين الفينة والأخرى حول واقع القراءة والكتابة في البلدان العربية، فإن هاتين الممارستين بخلاف ذلك تماما، لأن تلك التقارير تعتمد إحصائيات تقف عند حدود سلسلة إنتاج الكتاب القديمة ورواجه (مطابع، دور نشر، مكتبات، مقتنيات القراء، الخ.)، والحال أن عدادات تنزيل الكتب من الشبكة تبرز إقبالا على القراءة لدى العرب غير مسبوق، وإن كانت هذه القراءة تقتضي دراسة لم يُخصَّص لها أي بحث بعد. من أمثلة تلك التقارير الوثيقة السنوية الصادرة عن المنظمة العالمية للملكية الفكرية برسم سنة 2008، حيث أوردت أن نسبة التأليف في العالم العربي لا تتجاوز ثلاثة كتب لكل مليون عربي. وقد انتشر خبر ذلك التقرير على نطاق واسع في شبكة الأنترنت، حيث أوردته العديد من المواقع والمنتديات العربية تحت عنوان: «ثلاثة كتب لكل مليون عربي. يا لهول الفاجعة!».

⁶⁹ نفسه.

⁷⁰ Salvino A. Salvaggio, «La Digital Economy: de la rareté à l'excès», *Anthropologie de la société digitale*, Bruxelles, Haute école Groupe ICHEC, Tome 1, pp. 7-51:

<http://www.salvaggio.net/download/anthropo.pdf>

وكذلك:

????????????????

⁷¹ Isabelle, Renaud, *Cogitation virtuelle: débat et enjeux sociaux sur internet*, Mémoire de Maîtrise, département d'anthropologie, faculté des sciences sociales, université Laval, 1997, p.12:

<http://www.collectionscanada.gc.ca/obj/s4/f2/dsk3/ftp04/mq25723.pdf>

وفي وقت انضافت فيه إلى قراءة الكتب الورقية ليس مطالعة المنشورات الرقمية المرئية فحسب، كالنصوص المعروضة على الحواسيب والألواح الرقمية والهواتف الذكية والقارئات المتخصصة، كجهاز كيندل فاير وغيره، بل وكذلك «القراءة السمعية» المتمثلة في انتشار الكتب الصوتية التي يمكن سماعها في الفراش والطرقات ووسائل النقل، وما إلى ذلك، لم تعد تقارير أحوال القراءة المرتكزة كلها على حصر أعداد مبيعات الإصدارات الورقية تعكس الوضع الحقيقي للقراءة والقراء، وبالتالي فهي لم تعد مما يجدر تصديقه والوثوق به.

بالإضافة إلى ذلك، مع النشر الصوتي والسمعي البصري للنصوص الإبداعية والفكرية، لم تعد الوثيقة المطبوعة هي المصدر الوحيد الذي يمكن اعتماده في القراءة والدراسة والبحث، بل وكذلك الوثيقة السمعية والسمعية البصرية التي يمكن التعامل معها تماما كالكتاب الورقي بإيراد نص الإحالة، مع ذكر معلومات ورودها والمدة التي تستغرقها داخل الشريط، بتحديد دقيقة بدايتها ونهايتها.

أخيرا، بانتقال الكتاب الورقي إلى الوسيط السمعي والسمعي البصري يبدو أن الكتابة جدت صلتها بحقبة المشافهة السحيقية، حيث كانت الحوامل المادية منعدمة أو قليلة وكانت الذاكرة البيولوجية هي مستودع الآداب والمعارف. إلا أن أجهزة التخزين والقراءة الرقمية، خلافا لحقبة المشافهة الخالصة، تتيح إعادة الاستماع إلى هذا المقطع أو ذاك من النص أو حتى إلى النص بكامله إلى ما لا نهاية، مما يجعل التلقي هنا يُشبه إلى حد ما نظيره الذي ظهر باكتشاف الكتابة، ثم تعزّز بابتكار الدفتر، حيث أصبح بإمكان القارئ أن يختلي بالنص، ويقارن بين عدة نصوص...

نُشر هذا النص في موقع محمد أسليم www.aslim.ma يوم 07 غشت 2015